العنوان:	أبو مدين شعيب وشيخة أبو يعزي بن عبدالرحمان الأيلائي من خلال كتاب المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي لأحمد أبي القاسم التادلي الصومعي ألفه سنة 1000 هـ / 1592م
المصدر:	مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
الناشر:	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المؤلف الرئيسي:	مجاني، بوبة
المجلد/العدد:	ع8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2001
الشهر:	ماي
الصفحات:	172 - 180
رقم MD:	643048
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الصوفية
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/643048

أبو مدين شعيب وشيخه أبو يعزى بن عبد الرحمان الأيلاني من خلال كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى لأحمد أبي القاسم التادلي الصومعي ألفه سنة 1000هـ/ 1592م

د. بوبة مجاني

جامعة منتوري -قسنطينة

أبو مدين شعيب وأبو يعزى من الشيوخ الصوفيين الذين أسهموا في تصفية الحياة الروحية في بلاد المغرب العربي والبلاد الإسلامية. ومن الذين تركوا تراثا ذا قيمة علمية وتاريخية رفيعة المستوى .

Cet essai reflet les tracés de deux personnalités imprégnées du soufisme qui sont Abouchouaib et Abouyazaa. **Je décris du coté de leurs vies spirituelles et religieuses**

يعد الشيخ أبو يعزى بن عبد الرحمان الأيلاني المعروف بيلنور (1) نزيل تاغية من أشهر الصوفية في القرن الخامس الهجري (ت 472 هـ) الذين تتلمذ عليهم صوفية القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر الثالث عشر الميلاديين. وأشهرُ هؤلاء التلامذة على الإطلاق الشيخ أبي مدين شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي (594 هـ)

ولقد اهتمت المصادر التي ترجمت للمتصوفة أو التي أرخت للحركة الصوفية ببلاد المغرب بالشيخ أبي يعزى وكراماته حتى خص بمؤلفات وضعها مريدو طريقته من بينهم أحمد أبو القاسم التادلي الصومعي(2) الذي نشأ في أسرة متدينة ووسط متصوف تلقن فيه ومند صباه المبادئ الدينية والصوفية. إلى أن أصبح عالما من علماء التصوف فاشتغل بتلقين العلوم الدينية والتصوف وكان موئل الطلبة والمريدين بزاوية الصومعة بتادلة.

وينتمي التادلي وأبو يعزى يلنور إلى قبيلة مصمودة التي أنتجت المهدي ابن تومرت الثائر على المرابطين الذين أحرقوا كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي بفتوى من فقهاء الأندلس المالكية ،فانتصر المهدي للغزالي وأسقط الدولة المرابطية وأقام الخلافة الموحدية التي كان من بين الأسس التي قامت عليها الدولة الموحدية إحياء التراث الصوفي وإنعاشه في بلد المغرب فشاع وانتشر وكثرت فيه التآليف حتى أضحى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قرن التصوف لكثرة المتصوفة الذين عاشوا فيه ولشهرة بعضهم مثل أبي يعزى يلنور وتلميذه أبي مدين شعيب موضوع دراستنا.

لقد كانت الدعوة الموحدية آخر الدعوات السياسية ببلاد المغرب والمذهب الموحدي آخر المذاهب. وكانت هدف هذه الدعوة العودة إلى الدين الصحيح باعتماد النصوص أو الأصول: القرآن والسنة ، وترك الفروع أي بما كتب في المذهب المالكي وعنه من طرف فقهائه ببلاد المغرب.

كما أن الانغماس في ملذات الحياة الدنيا أضعفت السلطة وأفسدتها كما أفسدت المجتمع، لهذا جاء الصوفية لمجاهدة النفس والخضوع التام للإرادة الإلهية. وهذا بعد انتقال التصوف من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة في طلب العلم أو الحج أو التجارة.

وكان كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي هو مرجعية متصوفة القرن السادس الهجري في بلاد المغرب فكان هو المنتهى في ذلك في نظرهم. وظل كتاب الإحياء هو المتبع ما بعد الخلافة الموحدية أي عصر السلطنات المستقلة: الزيانية والمزينية والحفصية.

وبالعودة إلى مصدر دراستنا لتبين أسباب وضعه نرى أنها تعود إلى إلحاح بعض ممن ينتسب إلى الإمام أبي يعزى بأن يقيد لهم التالي ما صح عنده من أخباره ، واتضح من كراماته ، وما نقل إليه من مفاخره ، وذكر سلسلة نسبه التي توصله بالرسول (ص) أي إثبات صحة نسبه الشريف(3). مستمدا أخباره من المصادر التي ألفت في مناقب الشيخ قبله. كما اعتمد كذلك

الأخبار الشفوية المتناقلة عن الشيخ أبي يعزى وكراماته.

أما عن المواضيع التي تناولها التادلي بالدراسة في هذا المؤلف في أبوابه السبعة ، ففي الأول منها تحدث عن نسبه ومجاهدته وما لقي من ذلك من تعصب.

والباب الثاني جعله لشيوخه الذين التقى بهم أو خدمهم وانتفع ببركتهم وتصل هذه السلسلة إلى الرسول (ص)(4).

أما كراماته فلقد أوقف الباب الثالث من هذا الكتاب. والباب الرابع تحدث فيه الشيوخ الذين لقنهم طريقته أو فتح عليهم ببركاته على حد تعبير المؤلف ، ومنهم الشيخ أبي مدبن شعيب، الذي خصه بالقسم الأكبر من هذا الباب وهو المعتمد في هذه الدراسة.

وفي الباب الخامس تحدث عن الذين شهدوا له بالمرتبة العليا. والسادس خصصه لذكر آداب زيارته وزيارة تلميذه أبي مدين شعيب.

أما الباب الأخير وهو الباب السابع فلقد أثبت فيه اتصال نسبه بالرسول (ص).

والبين من هذا العرض السريع لأبواب الكتاب ، أن الشيخ أبي مدين هو البارز من بين تلامذة الشيخ أبي يعزى وهو الوارث لطريقته التي شكلت مدرسة التصوف في بلاد المغرب. لهذا خصه التادلي بقسم وافر من مؤلفه الذي وضعه لشيخه أبي يعزى.

ترك أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري راعي المواشي الأندلس وانتقل إلى المغرب طالبا للعلم، فنزل طنجة ثم تركها إلى سبتة التي عمل أجيرا عند الصيادين (5).ومن سبتة إلى سلا ثم مراكش حيث نزل بها على الجند الأندلسين فكتبوا اسمه في ديوان الجند ضمن فرقتهم ليأخذوا عطاءه الذي لا يقبض منه إلا القليل(6).

ولم يكن أبو مدين شعيب يسعى لطلب الرزق بل كان مسعاه تحصيل العلم ، لهذا حدث أخذ فرقة الجند الأندلسين الذين أخلوه معهم في زمامهم بأن رغبته تحصيل العلم فنصحه بالانتقال

إلى بمدينة فاس (7). عاصمة العلم بالمغرب الأقصى.

وفي فاس تردد أبو مدين كثيرا على مجالس الفقهاء في مسجدنا. ومن أشهر الذين جلس إليهم وأخذ عنهم كبير فقهاء ومتصوفة وقته الشيخ أبو الحسن علي الحسن بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم (ت559 هـ) التقى بالغزالي في الشام وأخذ عليه كتابة إحياء علوم الدين(8).

ومن الفقهاء والمتصوفة الذين أخذ عنهم أبي مدين بفاس (9) تفسير القرآن والحديث ، لفقيه الصوفي أبو الحسين علي بن خلف بن غالب القرشي(ت 561هـ) وهو من أشهر تلامذة أبي العباس بن العريف(10).

أما علم التصوف فلقد تلقنه بفاس أثناء تردد شيخ الذي أخذ عنه هذا العلم بين فاس وسجلماسة وهو أبو عبد الله الدقاق السجلماسي (11)

وبما أن التصوف علم وعمل فالعلم أخذه كما سلف الحديث عن ابن خرزهم والدقاق ، أما العمل فأخذه عن شيخه أبي يعزى الذي كان كثير الزيادة له أثناء إقامته بفاس (12).

لقد كان مسلك الشيخ أبي يعزى في الحياة الزهد والتقشف منذ صباه. لقد عمل راعيا للغنم كأجير في سن مبكرة واختلط بالزهاد والعباد المنقطعين للعبادة (13). لينعزل هو بعد ذلك وينقطع في جبال المصامدة مدة عشرين سنة. بعدها نزل إلى السواحل فأقام بها ثمانية عشر سنة(14)

والمصادر التي ترجمت له وحفظت أخباره لا تذكر الشيوخ الذين لقنوه العلم. بل تتفق هذه المصادر على خدمته لهم وأخذه عنهم مسلكهم في الحياة. ويذكر في ذلك ابن زيات عندما يتحدث عن كراماته على لسان أبي يعزى ذاته فيقول: "خدمت نحوا من أربعين ولي الله تعالى منهم من ساح في الأرض ومنهم من أقام بين الناس إلى أن مات" (15)

ومن أشهر الذين خذمهم الشيخ أبو شعيب أيوب بن سعد الصنهاجي الزموري المعروف بسعيد السارية لكثرة إطالته القيام في الصلاة ، وخدمته كانت لزوجة الشيخ أيوب حيث كان يتولى لها

تحضير الطعام وتنظيف البيت (16).

وعلى الرغم من أن صاحب مناقبه التادلي خص شيوخه الذين لقي والذين خدم بباب في كتابه إلا أنه لا يذكر إلا خدمته للشيخ أيوب بن سعيد الصنهاجي. ثم بعد ذلك يذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم الشيخ أيوب ويصل بسلسلتهم إلى الرسول (ص) (17).

إن الناظر في هذه الأخبار يتبين له أن تصوف أبي يعزى لم يكن تصوفا علميا بل كان عمليا سلوكيا. وهو ما سيلقنه لتلميذه أبي مدين شعيب.

وترتبط أسباب زيارة أبي مدين إلى شيخه أبي يعزى بالأخبار التي كانت ترد إلى فاس عن كرامته. فكان الناس يتداولونها مما ملأ قلب أبي مدين بحبه فقرر الرحلة إليه مع جماعة من المريدين (18). وبعد اللقاء الذي دام أياما أذن له في الخروج إلى الحج.

هكذا كانت المدة التي قضاها أبو مدين بفاس نقطة تحول مهمة في حياته العلمية. فإلى جانب أخذه العلم عن كبار الفقهاء والمتصوفة لبس الخرقة من علي بن حرزهم كما أخذ عنه كتاب الأحياء.

وعن أبي يعزى أخذ الطريق ولبس الخرقة كذلك ، وسوف يلبس الخرقة من الشيخ أبي محمد عبد القادر الجيلاني (ت 561) وأودعه الكثير من أسراره عندما التقى به في مكة. وفي الحرم الشريف قرأ عليه الحديث (19). هذا وتجدر الإشارة إلى أن لبس أبي مدين الخرقة. لم يكن للتبرك بل كانت خرقة العهد التي لايلبسها إلا من سلك مسلك الذين نهجوا الطريق القويم والصراط المستقيم (20).

وتجمع المصادر التي أرخت للحركة الصوفية ببلاد المغرب على أن أبا مدين كان أشهر تلاميذ الشيخ أبي يعزى وعلى يديه ـ أي أبي مدين ـ تخرج ألف شيخ ، مما يعني أن مدرسة التصوف بالمغرب واضع أسسها أبو يعزى وقطبها أبو مدين شعيب. والملفت للانتباه في ذلك أن الشيخ أبا

يعزى كان أميا.ففي رواية لابن الزيات نقلا عن أبي مدين شعيب أنه أثناء إقامته عنده بتاغية رآه يقدم الرجل للصلاة فإن كان قارئا مجيدا أقره وإن كان لحانا أخره (21). ومع العلم أن صاحب مناقبه يقول أنه لم يكن يحفظ من القرآن إلا الفاتحة والإخلاص والمعودتين (22).

وللدارس أن يتساءل عن العلم الذي أخذه أبي مدين شعيب عن شيخه الأمي أبي يعزى الذي تتفق كل المصادر التي حفظت لنا أخبار تلميذة أبي مدين على أنه خرج لزيارته ولا يذكرون أنه أخذ عنه شيئا من العلم (23). وهو ما يؤكد أن أبا مدين أخذ عن شيخه سلوكه الصوفي.

ومن القرائن على أمية أبي يعزى خبر يروى عن مؤذنه مفاده أن أخذ المتصوفة وهو أبو علي عبد المالك ابن تماجورت الهزميري الذي كان يزور الشيخ أبي يعزى كل سنة فكان يقدمه للصلاة به (24). وفي أخذى زيارته جلس للحديث مع مؤذنه فطلب منه المؤذن أن يطلب من الشيخ أبي يعزى بأن يكف عن كشف أخطاء الناس وهو جاهل لا علم عنده (25). ويراها أتباعه من كراماته ويعترف الشيخ بجهله قائل لمؤذنه: " صدقت إني جاهل ولا علم عندي إلا ما علمني ربي "وترد هذه الرواية في شكل كرامة من كرامات الشيخ الذي يعيد إلى مؤذنه القدرة عن الكلام بعد أن بفقدها بسبب قولته هذه (26).

وفي المقابل تجمع المصادر على أن أبا مدين كان فقيها من كبار الفقهاء المالكية (27). مشاركا في الكثير من المناظرات بين الفقهاء مشتهر بتحقيقه وتدقيقه في المعارف. فعندما كان مقيما ببجاية كان الناس يأتونة من كل جهة للأخذ عنه. كما كان الفقهاء يلجأون إليه عندما يتعذر عليهم إصدار فتوى في قضية ما (28). كما كانت الفتاوى في مذهب مالك ترد عليه بالإضافة إلى مجلس الوعظ الذي يؤمه الناس من كل ناحية(29).

أما العلم الذي كان يمتلكه فهو الحديث الذي كان من حفاظه. فلقد كان يحفظ جامع الترمذي(30).

والمتتبع للحركة الصوفية أيام أبي مدين وشيخه أبي يعزى يرى أن مصدرها الأساسي هو كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي وافق بين الفقه السني والتصرف جعلهما لا يتعارضان لهذا أقبل على التصوف أهل المغرب الذين يدينون في اغلبهم المالكي. وما يؤكد ذلك إقبال الشيخ أبي مدين شعيب الفقيه المالكي علي التصوف حتى بلغ درجة القطبية. وكان أبو مدين يدرس كتاب الإحياء لتلامذته (31) عندما كان مقيما ببجاية ، وتدريس تفقه وتفهم (32)

كما أن للمهدي بن تومرت وفكره التوحيدي دورا في ذلك ، فثورته المنهجية على علماء المالكية بمطالبته لهم بترك الفروع والأخذ بالأصول ، أي العودة إلى لقرآن والسنة لاستنباط الأحكام هو الذي شجع الإجتهاد في بلاد المغرب في القرن بالسادس الهجري مما ألغى التعارض بين الفقه السني والتصوف.هذا بالنسبة لتصوف أبي مدين العلمي، أما تصوفه العلمي السلوكي الذي يستند على كرامة ، فإن الطريقة أخذها عن شيخه أبي يعزى يلنور الذي عمله مسلك الزهد والتقشف ومجاهدة النفس والانقطاع لعبادة الخالق. فبدلك جمع أبو مدين بين العلم والعمل فأصبح من أشهر تلامذة أبي يعزى وقطب مدرسة التصوف في المغرب.

الهوامش

1 – يلنور معناه بالعربية صاحب النور أو صاحب الحظ وذو النور ولقب كذلك ب " يللبخت " أي مسعود. وإعزا أو أبو يعزى أسم ولده الذي كني ويعني المحبوب. أنظر أحمد التادلي الصومعي: المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى تحقيق علي الجاوي ، منشورات كلية أقادير 1996 / حاشية 11 / 61 ، أبو يعقوب يوسف يحي التادلي المشهور بابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف . تحقيق أحمد توفيق الرباط 1998 / 213.

2 – ألف أبو العباس أحمد بن محمد العزفي كتابا جمع فيه أخبار أبي يعزى ومناقبهو سمه ب: دعامة اليقين في زعامة المتقين حققه أحمد توفيق ونشره بالرباط سنة 1989.

3 – هناك من المؤرخين من نفى شرف النسب عن أبي يعزى فعبد الحي الكتاني وضع كتابا في ذلك سماه ب: الاستهزاء بمن زعم الشرف للشيخ أبي يعزى. التادلي: المعزى /64.

4 – نفسه/ 62.

5 – ابن زيات المصدر السابق/ 320، أبو العباس أحمد الخطيب الشهير بابن القنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقير ، نشر وتحقق محمد الفاسي وأدولف فور الرباط 1965 / 12 ، التادلي: المصدر السابق / 139.

6 – ابن الزيات: المصدر السابق /320. التادلي: المصدر السابق /139.

7 – ابن القنفذ: المصدر السابق /12.

8 – نفسه / 14.

9 – أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر / 109.

10 – ابن الزيات: المصدر السابق / 225.

11 –ابن الزيات: المصدر السابق / 322.

12 – نفسه ، ابن القنفذ: المصدر السابق /15.

13 – ابن الزيات: المصدر السابق / 216.

14 – نفسـه /217.

15 – التشـوف / 215.

16 – التـادلي: المصـدر السـابق /71.

17 – أنظـر البـاب الثـاني مـن المعـزى / 71 – 110.

18 – ابـن مريـم المصـدر السـابق / 109. ويذكـر التـادلي: المصـدر السـابق / 130 – 131 تفـاصيل اللقـاء الأول بين أبـي يعـزى وأبـي مديـن.

19 – التـادلي: المصـدر السـابق / 382 .ابـن مريـم المصـدر السـابق / 110.

20 – التـادلي: المصـدر السـابق /355.

21 – ابـن زيـات: المصـدر السـابق / 323 . التـادلي: المصـدر السـابق /131.

22 – التـادلي: المصـدر السـابق /133.

3 2 – ابـن الزيـات: المصـدر السـابق /323 . ابـن القنفـذ: المصـدر السـابق / 15 . التـادلي: المصـدر السـابق / 131.

24 – ابـن الزيـات: المصـدر السـابق / 422.

25 – التـادلي: المصـدر السـابق /133.

26 – نفسـه.

27 – أحمـد بابـا التنبكـتي: نيـل الإبتـهاج بتطريـز الدبـاج . منشـورات كليـة الدعـوة الإسـلامية . طرابلـس / 139.

28 – التـادلي: المصـدر السـابق / 162 . ابـن مريـم: المصـدر السـابق /112.

29 – ابـن مريـم: المصـدر السـابق / 108.

30 – التنبكـي: المصـدر السـابق / 193.

31 – التـادلي: المصـدر السـابق / 258.

32 –نفسه.